مجلة أبحاث البصرة(العلوم الإنسانية) المجلد٣١ ، العدد:١ ، الجزء:أ ص٢٠٥-٢٣١

ستراتيجية الرسول (ص) في رفع الروح المعنوية للمقاتلين خلال المعارك

د. حميد سراج جابر الاسدي
جامعة البصرة / كلية التربية
قسم التاريخ

ملخص البحث :

يتناول هذا البحث جانبا مهما من جوانب الفكر العسكري للرسول (ص) الا وهو جانب رفع الروح المعنوية للمقاتلين خلال المعارك ، اذ خط الرسول (ص) طريقا واضحا في هذا الجانب ، وتميز عن القادة السابقين بما جاء به من امور في هذا المبدأ العسكري ، والتي لا يكاد يسعها ذلك العصر الذي كان يعيشه لسيادة الروح البدوية انذاك .

ونحاول في هذا البحث ان نجلي بعض الغموض عن هذا الجانب المهم في حياة الرسول (ص) لاسيما وان ذلك يعود بالنفع الكبير على القادة العسكريين خصوصا ، وعلى الستراتيجيات العسكرية بشكل عام ، محاولين بذلك الرد على ستراتيجية العسكرية الغربية التي نسبت بطلانا ، مبدأ الروح المعنوية الى الجنرال البريطاني نوينبي ، الذي سبقه الرسول (ص) باربعة عشر قرنا من الزمان .

ستراتيجية الرسول (ص) في رفع الروح المعنوية للمقاتلين خلال المعارك

المقدمة :

لا نبالغ اذا قلنا ان الرسول محمد (ص) قد وضع مبادئ عسكرية في غاية الاهمية ولم يسبقه أي قائد في وضعها . ولا نبالغ ايضا اذا قلنا بان ظروف معارك الرسول (ص) لا تقل صعوبة عن معارك القادة في الوقت الحاضر . ويقول السيد فرج في كتابه القيادة بهذا الخصوص بانه ((لا جدال ان القائد الذي يقود القليل في الزمن الماضي وكانت رقعة عملياته محدودة وتسليحه بدائيا كانت تجابهه عقبات ومشاكل لا تقل في جسامتها عما يقف في طريق القائد الحالي)) [1] .

ومع علمنا بحقيقة مبادئ الحرب التي وضعها الرسول محمد (ص) فقد لفت انتباهنا القول بنسبة مبدأ الروح المعنوية الى المارشال (مونتجمري) وانه اول من اضافه الى مبادئ الحرب التي كانت معروفة للعالم حتى الحرب العالمية الثانية [2] .

وبدورنا فقد لاحظنا هذا المبدأ من خلال دراستنا لمعارك الرسول (ص) ومن خلال ما راه الباحثون من ارتفاع الروح المعنوية لجيش المسلمين وعزوا ذلك لايمانهم بعقيدتهم فقط دون التوجه للاسباب الاخرى والمتعلقة بحكمة الرسول (ص) كقائد عسكري والمستشرقون انفسهم قد شهدوا بهذا الامر ولكنهم جهلوا او ربما تجاهلوا اسبابه واكتفى (مونتجمري وات) بالاشارة الى ذلك اذ قال ان المسلمين ايام الرسول (ص) كانوا يستطيعون ان يسيطروا على جيش ضخم وربما كان اضعافا لمعنوياتهم العالية بسبب طريقة محمد (ص) في التعامل معهم [3].

وعليه فقد حاولنا ان نثبت بان الرسول (ص) قد سبق المارشال (مونتجمري في ادخال مبدا الروح المعنوية في الحرب من خلال اساليب الرسول (ص) المحكمة في التعامل بهذا المبدأ والتي ظهر بانها اساليب في غاية الدقة وانها سبقت كل القادة الاوربيين الذين اخذوها عن المسلمين .

المبحث الأول

التوجيه المعنوي

التنبوءات :-

تعد التنبوءات في المعارك من صفات القائد الناجح ، لا لانها عملية خارقة للعادة او خارجة عن الناموس الطبيعي ، وانما لانها توحي بثقة القائد بقدراته ، وخططه وامكانية مقاتليه في تطبيق مبادئ الحرب الناجحة . فالتنبوءات لا تقتصر على قائد دون اخر (من القادة الناجحين طبعا) وانما هي ملازمة لهم وواردة في ذهنهم . مع اختلاف بسيط في مدى تقبل المقاتلين لتنبوءات النصر وحسب درجة تأثير هؤلاء القادة بهم .

اردنا بهذه المقدمة البسيطة ان نجيب سلفا عن سؤال قد يطرح حول تنبوءات الرسول (ص) في المعارك وعن جدوى وصفها بالتنبوءات العسكرية ما دام الرسول (ص) يوحى اليه ، وللاجابة على ذلك ينبغي الالتفات الى عدة اعتبارات اهمها :-

١- ان حياة الرسول (ص) تسير وفق القوانين الطبيعية كأي بشر اخر دون معجزات الا في حالات خاصة . والا فان الله تعالى اذا اراد شيئا فانما يقول له كن فيكون وانما احتاج الرسول (ص) للسيف لحماية نشر الدعوة وفقدان اعز اصحابه واهل بيته من جراء ذلك .

٢- ان الله اصطفى محمدا (ص) من بين البشرية لانه يمتلك صفات اهلته ليتميز عن اقرانه من البشر . وعندما نقول انه يوحي اليه ، فلانه مؤهل لاستلام الوحي والحفاظ عليه ، فصفات الرسول (ص) التي ميزته هي سابقة للوحي الذي نزل عليه وليس الوحي هو الذي غرس فيه هذه الصفات ، والقدرة العسكرية هي جزء من الصفات التي يمتلكها .

٣- لو تطلع معارك الرسول (ص) واجراءاته فيها نجد الامر طبيعي جدا وان الرسول (ص) بعد ان يتقن خطته ويوزع الادوار على المسلمين يتوجه الى ربه بالدعاء ليساعده في انجاح مهمته العسكرية ، فلو كان عمله من الله فقط لما توجه اليه الرسول (ص) لانه تعالى اعلم به من غيره . ثم الا تعني مشاورات الرسول (ص) مع اصحابه انه يعقد مجلسا حربيا كأي قائد اخر .

ومما سبق يمكن ان ندرك بان تنبوءات الرسول (ص) في المعارك وفي نتائجها هي جزء من كفاءة حربية يتمتع بها هذا القائد المثالي اذا ما قسناه بالعهد الذي كان يعيشه . وعليه فان لنا الحق الان ان نتساءل عن الدوافع التي دفعته (ص) لهذه التنبوءات ، والتي يبدو انها تكمن فيما ياتي :-

١- ان التنبوءات من اكثر الاساليب فاعلية في نظر العسكريين لانها اداة مجربة في أدامة المعنويات .

٢- انها تقوي ثقة المقاتلين بقائدهم بحكم ثقته العالية بنفسه الى درجة تأكده من النصر .

٣- اراد الرسول (ص) ان يربط المسلمين بهدف واحد يسعى لتحقيقه وهو النصر مصورا لهم بذلك المعركة بالوسيلة للوصول الى هذا الهدف ، أي مسالة وقت فقط .

٤- اننا لو تتصور طبيعة العلاقة بين المسلمين وقائدهم الرسول (ص) تلك الفترة وثوباتهم في هذا القائد لاتضحت لنا الصورة باكثر جلاء عن دوافع الرسول (ص) في النبوءات فالرسول (ص) على يقين بان ما ينطق به هو بحكم المسلم عند المسلمين ومن ثم فانه يدرك تماما ماتؤثره نبوءاته العسكرية على اصحابه من استماتة وقوة في المعارك ، وهذا ما يميز الرسول (ص) عن كثير من القادة العسكريين .

وقد اختلفت هذه النبوءات في طبيعتها فمنها ما كان على شكل اقوال يبشر بها المسلمون بالنصر ، ومنها ماكانت تحمل تفاصيل ادق عن سير العمليات العسكرية ، ومنها ما كان على شكل رؤى في المنام ، الا انها تحمل البشرى بالنصر وتفاصيل عن المعركة في الوقت نفسه .

وعلاوة على ايمان المسلمين بعقيدتهم وهو امر لا يمكن انكاره فان اجراءات الرسول (ص) واهمها النبوات كانت عاملا مهما في المعارك من خلال رفعها للروح المعنوية للمسلمين ، وبلوغ هذه المعنويات ذروتها وحدها الاقصى ولا سيما في معركة بدر اذ نجد الرسول (ص) يبشر المسلمين بالنصر ويبينهم بانه كان يرى مصارع القوم [٤].

وقد ازداد طمئنان المسلمين من جراء كلام الرسول (ص) هذا لاسيما اذا ما علمنا ان الفارق في العدد كبير مع جيش العدو الذي يبلغ اضعاف جيش المسلمين وهذا ما اراد الدكتور احمد شلبي الاشارة اليه عندما قال بان اجراء الرسول (ص) هذا قد شجع المسلمين وطمئنهم الى ضعف اعدائهم من ناحية العدد [٥].

ونستطيع ان نتصور معنويات جيش يعلم سلفا بانتصاره فلا بد ان تكون هذه المعنويات في اعلى مراتبها ، وهذا ما اكدته لنا احداث المعركة . ونقصد بذلك تسليم المسلمين بما يقوله الرسول(ص) كقائد في المعركة . وهذا ما نفهمه ايضا حينما ندرس الروايات الخاصة بمعركة الخندق فقد بشر الرسول (ص) اصحابه بالنصر ، كررها ثلاثا فاستبشر المسلمون وقالوا (الحمد لله موعد صادق بار)[٦] والذي يهمنا في هذه الرواية هو تيقن المقاتلين بتصريحات هذا القائد مما يعني ان الرسول (ص) بحكم حكمته القيادية لم يعاني كثيرا في تحقيق هدفه من نبوءاته وقد ساعدته على ذلك مكانته الروحية بين اصحابه واقتدائهم به . وربما نجد بعض نبوءات الرسول (ص) عيدة المدى على الرغم من انها تتدرج في نفس الهدف ونفس النتيجة ، الا ان تاثيرها مباشر على اصحابه كما حدث بعد غزوة الخندق حيث تنفس المسلمون الصعداء بعد ان تاكد لهم من قبل قائدهم بان خطر المشركين على مدينتهم قد ولى ، واصبحوا هم بموقع المهاجم الذي يملك فرصا اكبر للنجاح من الطرف المقابل وذلك حينما قال الرسول (ص) بعد انصراف المسلمين من الخندق (الان نغزوهم (يعني قريش) ولا يغزونا ، فكان كذلك حتى فتح الله تعالى على رسوله (ص) مكة [٧] .

وتتضح الصورة اكثر عن بعد نظر الرسول (ص) بنبوءاته العسكرية من خلال ما ذكرته بعض المصادر من انه اخبر المسلمون ايام الخندق بفتحهم اليمن والشام والمغرب والمشرق حيث نجد الرسول (ص) بهذه النبوءة يبشر المسلمين بانهم سوف يصبحون قوة لها ثقلها ومكانتها بما يزيد من اندفاعهم في القتال [٨].

وكان الرسول (ص) يشحذ الاذهان نحوه ويهيء العقول لاستقبال النصر بكلمات على بساطتها الا انها ذات معان لاتخفى على العاقل من الناس والا فان صيحة الرسول (ص) لما وصل المسلمون الى خيبر في غاية الوضوح ، وهي موجهة لكل المسلمين الحاضرين يوم خيبر حيث صاح الرسول (ص) ((الله اكبر خربت خيبر))[٩] .

وهي نبوءة سبقت المعركة ولكنها قادت المسلمين الى النصر ، وايضا من هذه الكلمات قوله (ص) لما وصل المسلمون الى وادي حنين ورأوا هوازن عن بكرة ابيها بضعنها ونسائها ، ونعمها ، اذ تبسم الرسول (ص) وقال ((تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله))[١٠] وهي نبوءة ترغيب اولا ، ووعدا بالنصر ثانيا ، فالغنيمة حق مشروع للمنتصر ، لذلك اراد الرسول (ص) ان يدعو المسلمين للاستماتة بالقتال لكي يحصلوا على هذه الغنيمة وفي الوقت نفسه يحصلوا على النصر الذي جاءوا من اجله .

اما فيما يخص نبوءاته (ص) التي فيها تفاصيل اكبر عن مجريات المعركة فقد امدتنا المصادر المتوفرة ببعض النصوص عن هذا الموضوع ، ويبدو ان الرسول (ص) كان يتكيف مع ظروف المعركة في طبيعة نبوءاته ، فنجده في معركة بدر مثلا يحرص على ان يصف هزيمة قريش بدقة بل انه اخذ يري المسلمين مصارع القوم ويشير الى موضعها بالتحديد [١١].

وقد نلتمس للرسول (ص) العذر في هذا التدقيق ، لا سيما اذا ما تذكرنا ان المسلمين لا زالوا قوة ناشئة ولم يخوضوا حربا قبل هذا الوقت ، فان الفارق الحضاري بينهم وبين عدوهم كبير فضلا عن ان قريش قوة لا يستهان بها ، وهي مهابة الجانب بين القبائل ، خاصة وانها هي التي فرضت هذه المعركة لذلك ربما احس الرسول (ص) بضرورة التاكيد على جانب النصر في كلامه مع المسلمين ، وتصوير المعركة ليكونوا على يقين بالانتصار قبل خوضها .

بينما نرى تأتي الى نبوءات الرسول (ص) بعد عدة معارك وبعد ان حقق المسلمون الانتصارات على قريش واليهود ، نجدها قد تغيرت ، حيث اصبح المسلمون على ثقة اكبر بالنصر ، لهذا نجد في معركة خيبر ترتفع معنوياتهم او يجددها بعد ان جهدوا من فك حصار اليهود حيث تتابعت الهجمات على حصون اليهود دون جدوى فقال الرسول (ص) ((لاعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه))[١٢] وكما قلنا فان الرسول (ص) قصد من ذلك تجديد المعنويات ، التي ربما ضعفت جراء صعوبة فك الحصار خلال الايام السابقة ، فكانت خطوة عظيمة من الرسول (ص) رفعت المعنويات الى اعلى درجاتها فاكتسح المسلمون حصون خيبر .

ستراتيجية الرسول (ص) في رفع الروح المعنوية للمقاتلين خلال المعارك

اما ما يخص الرؤى التي رءاها الرسول (ص) وعن دورها في رفع المعنويات فقد تطرح عليها نفس الشبهات التي طرحت على الانواع الاخرى من النبوءات ، وهي ان الرسول (ص) اوحي اليه من الله تعالى فعلام القول بان ذلك من فكره العسكري وللرد على هذه الشبهة يمكن القول انه من الخطا التركيز على رؤى الرسول (ص) من ناحية كونها تبليغا الهيا فقط ، وانما الامر لايخص هذا التبليغ او هذه الرؤيا ، بل يخص كيفية التعامل بها مع المسلمين ، فحقا انها صادرة من الرسول (ص) الذي يوحى اليه من السماء ، الا ان العبرة في طريقة توظيفها عسكريا في مبدا مهم من مبادئه الحرب ، وجعلها عاملا مساعدا في رفع المعنويات ، وهو المبدا الذي قصدناه مما ينم بالتالي عن ثقافة عسكرية كبيرة للرسول (ص) لاتتدخل من قريب او بعيد بالوحي الالهي ، الا من ناحية العناية الالهية ، والتي لاينفرد بها الرسول (ص) عن سائر البشر .

وفضلا عن البشرى بالنصر فقد تلمس مزايا عسكرية للرسول (ص) في رؤياه كقدرته في اختيار موقع القتال المناسب او توقعه لظروف القتال ، وغير ذلك ، ويتجلى هذا الامر في رؤياه(ص) يوم احد ، اذ قال للمسلمين : (اني رايت خيرا ، رايت بقرا ، ورايت في ذباب سيفي ثلما ، ورايت اني قد ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة [٢٥].

وقد بنيت هذه الرؤيا على ثلاث مرتكزات :-

١- اراد الرسول (ص) تقديم الوعود للمسلمين بالنصر طالما صبروا وقاتلوا .

٢- اراد الرسول (ص) تهيئة عقول المسلمين لاستقبال نتائج القتال والتي ربما لا تكون لصالحه ، وان الحرب فيها الانتصار المادي ، وفيها الانتصار المعنوي وفيها الخسارة ايضا .

٣- حرص الرسول (ص) على اختيار ساحة المعركة التي تلائم جيشه ، وهي المدينة والتي ثبتت فيما بعد ، انها المكان الامثل لتحصين المسلمين .

وقد كانت نتائج هذه الرؤيا على المسلمين مستوحاة من نتائج المعركة نفسها ويمكن تلخيصها بما يلي:-

١- احس المسلمون بضرورة الصبر في مواطن القتال بعد الذي حدث في احد وهو الامر الذي قصده الرسول (ص) في مقدمة رؤياه عندما وعدهم خيرا لذلك اصبحت هذه الرؤيا وصية طبقها المسلمون في معاركهم اللاحقة .

٢- خففت هذه الرؤيا من هول الصدمة التي لحقت المسلمين جراء استشهاد عدد من اجلاء الصحابة وعلى راسهم عم الرسول (ص) الحمزة - ع - اذ ضمنت الرؤيا هذا الامر بقول الرسول (ص) ((اني رايت في ذباب سيفي ثلما)) .

٣- اثبتت للمسلمين بان الرسول (ص) قائد عسكري من الطراز الاول ، اذ اشار لهم في رؤياه بضرورة اتخاذ المدينة كحصن للقتال ، وهو الامر الذي لم يطبقه المسلمون ، فاخذوا العبرة من ذلك واصبح درسا لهم في تعاملهم مع خطط الرسول (ص) .

ومثلما كان للرسول (ص) بعد نظر سديد في نبوءاته العسكرية كان كذلك في رؤياه فالكل يعرف الضغط النفسي الذي عاناه المسلمون من جراء اتفاق الرسول (ص) مع قريش بالصلح المعروف بصلح الحديبية ، الا ان الرسول (ص) مع ذلك استطاع ان يمتص هذا الضغط بما له من حكمة عسكرية ، حيث حول الهزيمة التي رسمها اصحابه في اذهانهم الى نصر ، وذلك حينما ذكر لهم في رؤياه ، انه دخل البيت ، وحلق راسه ، واخذ مفتاح البيت ووقف على عرفه [٢٤] .

وقد بنيت الرؤيا على امرين :-

١- الايحاء للمسلمين بالفتح المبين ، ودخولهم البيت بعد معاناة سنين عديدة ويبدو ان الرسول (ص) لم يقصد فقط دخول البيت حسب الاتفاقية ، وانما اراد الاشارة الى فتح مكة وان صلح الحديبية مقدمة لهذا الفتح .

٢- اراد الرسول (ص) اخبار المسلمين ان القيادة ستكون واحدة وان جميع من في مكة سيخضعون تحت لواء الاسلام ، ثم ان الاهم من ذلك هو ان المسلمين سوف يؤدون فرائضهم دون مضايقات من احد . ومما يدل على ماقلناه من تحول الهزيمة في عقول المسلمين الى نصر هو ما ذكرته بعض المصادر من ان المسلمين خرجوا وهم لا يشكون بالفتح من جراء هذه الرؤيا [٢٥].

الخطب والأراجيز :

تعد الخطب من القواعد الاساسية التي بنى عليها الرسول (ص) معنويات المسلمين في معاركهم فقد كان الرسول (ص) يحرص على وعظ اصحابه قبل المعركة وتذكيرهم بما في الصبر والثبات من النصر والظفر العاجل وثواب الله الاجل[٢٦] .

وقد عمل الرسول (ص) على تصوير الجنة يقينا للمسلمين ، وان الوصول اليها بالجد والجهاد في سبيل الحق ، فهو يدعوهم الى منازل الحق ، منازل القتال التي شرفهم الله بها ، ومن ذلك ما قاله في معركة بدر ، اذ خطب بالجند قائلا بعد ان حمد الله واثنى عليه ((اما بعد فاني احثكم على ما حثكم الله عليه وانهاكم عما نهاكم الله عنه ، فان الله عظم شانه يامر بالحق ، ويحب الصدق ، ويعطي على الخير اهله ، على منازلهم عنده ، به يذكرون وبه يتفاضلون وانكم قد اصبحتم بمنزل من منازل الحق .. ان الصبر في موطن البأس مما يفرج الله به الهم ، وينجي من الغم ، وتدركون به النجاة في الاخرة [٢٧].

وقد غلب عنصر التنويع على خطبة الرسول (ص) هذه ، واراد من ذلك ربط الاسلام كعقيدة بنتيجة المعركة ، فهو بذلك يزيد من حماسهم في الدفاع عن كيانهم الشيء الذي قد تختص خطبة بدر بالتوجيهات العسكرية ، وانما تنوعت في مضمونها الى الامور الاتية :

١- تذكير المسلمين بما حثهم الله عليه ، وما نهاهم عنه .

٢- تنزيه الله تعالى وتذكيرهم بعظيم شانه وانه اهلا للعبادة .

٣- تنبيههم الى منزل الحق الذي هم فيه أي منزل قتال المشركين ، وما فيه من عمل يقود الى الجنة .

٤- التاكيد على الصبر في المعارك وانه يقود الى تحقيق النصر ومن ثم يقود الى رفعة الاسلام والنجاة في الاخرة .

ونفس الخطوط العامة لخطبة الرسول (ص) يوم بدر نجدها في خطبته يوم احد حيث قال ((يا ايها الناس اوصيكم بما اوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته والتناهي عن محارمه ثم انكم اليوم بمنزل اجر وذخر لمن ذكر الذي عليه ، فليوطن نفسه فيه على الصبر واليقين ونجد والنشاط ..))[٢٩].

والامر الملفت للنظر في هذه الخطبة هو تاكيد الرسول (ص) على الصبر في القتال لاسيما وانه يقول في موضع اخر من هذه الخطبة ((افتتحوا اعمالكم بالصبر على الجهاد والتمسوا بذلك ما وعدكم الله))[٣٠] . ولا غرابة في هذا الموضوع فالرسول (ص) يوم احد قد رأى يوم بدر ما كان بخشاه من التهاون في اطاعة اوامره منذ مشاورته لاصحابه في الخروج او البقاء في المدينة فقد كان الرسول (ص) ، يرغب بالبقاء في المدينة واتخاذها كحصن لكن المسلمين هم الذين اختاروا الخروج ، كان بنظرته العسكرية يتوقع ان يتكرر هذا الامر اثناء المعركة ، وهذا ما حدث عندما ترك الرماة اماكنهم والتف حولهم المشركون . لذلك اكد الرسول (ص) على ضرورة الصبر في هذا الموطن .

واتخذ الرسول (ص) اسلوبا اخر في التوجيه المعنوي لاصحابه وهو رفع معنوياتهم بالاراجيز التي كان يلقيها بنفسه او التي يامر غيره بالقائها على المسلمين فقد قال يوم الخندق يشجع المسلمين وهو يحمل التراب معهم [٣١].

والله لو الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزل سكينة علينا ... وثبت الاقدام ان لاقينا

وقال (ص) في نفس المناسبة بحق الانصار والمهاجرين [٣٢] .

اللهم لا خير الا خير الاخرة ... فاغفر للانصار والمهاجرة

ولا نرى بان الاراجيز اقل وقعا على نفوس المسلمين من الخطب وانما صدورها من الرسول (ص) ذاته فيه الكثير من المضامين التي يدركها المسلمون ويعنون بها لذلك فتاثيرها كبير عليهم ، ولهذا نجد الرسول (ص) يصور لهم عملهم ومكانتهم ومدينتهم بارقى مايكون لانها القليل الباقي وليس الكثير الزائل فهو يقول يوم الخندق [٢٢] .

هذا الجمال لاجمال خيبر ... هذا ابر ربنا واطهر

وكان الرسول (ص) يختار الوقت المناسب للاراجيز لانه يريدها باعثا يجد فيه معنويات اصحابه وهذا ما نلمسه من طلبه لعامر بن الاكوع ان يهزج امام المسلمين حالما وصلوا الى خيبر وكانما الرسول (ص) قد اراد ان يبعد الهيبة التي ربما احس بها المسلمون من رؤيتهم لحصون خيبر وفعلا قام ابن الاكوع باخذ يردد [٢٣] :

والله لولا الله ماهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينة علينا ... وثبت الاقدام ان لاقينا

وايضا نجد الرسول (ص) في هذه الغزوة يردد [٢٤] :

اللهم لاخير الا خير الاخرة ... فاغفر للانصار والمهاجرة

ولكن الامر المهم الذي يؤكد لنا حرص الرسول (ص) على استخدام هذه الاراجيز لرفع المعنويات في المعارك هو ما ذكرته بعض المصادر عن اراجيزه (ص) يوم حنين ، فعلى الرغم من الموقف المشحون بالتوتر ، وما تعرض له المسلمون انذاك من هزيمة في بادئ الامر ، نجد الرسول (ص) يتخذ الاراجيز الاسلوب الاهم في رفع المعنويات ، اذ اراد ان يخبر المسلمين انه وطن نفسه على الصبر حتى النصر فعاد المسلمين على اثر اراجيزه (ص) حيث قال فيها :

انا النبي لا كذب ... انا ابن عبد المطلب

ونستطيع القول بان وسيلة الخطب والاراجيز في رفع المعنويات قد فعلت فعلتها وبان تاثيرها في اكثر من مناسبة ، حيث تعدد استخدامها من قبل الرسول (ص) في معارك المسلمين .

الأقـــوال :

لم يقتصر الرسول (ص) في توجيهه المعنوي لاصحابه على اسلوب دون اخر وانما كان يختار الاسلوب المناسب للظرف المناسب ويبدو انه لم يرى افضل من الاقوال في رفع الروح المعنوية قبيل واثناء المعارك لانها تكون اكثر تاثيرا من أي امر مادي وحسب طبيعة الظرف الذي يكون فيه المقاتل انذاك فالكل يبحث عن رضى الله ورضى رسوله فاما اذا رضوا عنه فانه قد وصل غاية المراد ولا نتوقع له اقل من الاستماتة في الدفاع عن حرم المسلمين وهذا ما اراد الرسول (ص) التوصل

اليه باقواله للمسلمين قبيل واثناء المعرك وقد تباينت هذه الاقوال في مضمونها الا ان هدفها واحد كذلك اختلفت في توجيهها فمنها ما كان موجها للمسلمين ككل ومنها ماكان موجها لمقاتل واحد والظروف هي التي تحكم هذا الجانب .

ونو ناتي الى التوجيه العام فاننا نجد قمته في معركة بدر لحساسية هذه المعركة كما هو معروف ولكونها حدا فاصلا بين الحق والباطل ، فقد تعددت اقوال الرسول (ص) قبيل خوضها اذ قال لما استعد المسلمون لها (والذي نفس محمد بيده لايقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا ، محتسبا ، مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة) [٢٥] .

وبعد ان جاء القوم قال الرسول (ص) لاصحابه (قوموا الى جنة عرضها السماوات والارض) [٢٦] ثم اخذ الرسول (ص) يزيد من معنوياتهم عندما ذكرهم بالعناية الالهية اذ قال لهم توسموا (من السيماء) فان الملائكة قد توسمت بالصوف الابيض في قلانسهم ومغافرهم [٢٧] ومن مطالعة هذه الاقوال نجد الامور التالية :

(١) قسم الرسول (ص) اقواله بحسب مراحل المعركة ، فبدا بمرحلة الاستعداد قبل المعركة ثم التهيؤ قبل المعركة ، ثم مرحلة الدخول بها ، ويبدو ان الرسول (ص) اراد من ذلك ضمان تجديد المعنويات في كل مرحلة .

(٢) وضع الرسول (ص) للمسلمين شروط القتال الصحيح التي يقود الى النصر او الى الثواب ثانيا وهذه الشروط هي الصبر ، والاقبال على المعركة وعدم الفرار منها .

(٣) تصوير المعركة بانها حصاد الاخرة وانها الطريق الى الجنة مما يزيد من اندفاع المسلمين .

وفي يوم احد نجد الرسول (ص) لا يمتلك وقد غشية القوم الا الوعد بالجنة للمسلمون لانه السلاح الوحيد الذي يقاوم حالة الارتباك التي حصلت لذلك حينما قال لما احد القتال وخلص اليه القوم (من رجل يشري نفسه) [٢٨] ويشري نفسه ، اي يبيعها مقابل الجنة بان يدافع عن الرسول (ص) الذي بقي صابرا غير مبالي بالمشركين ونفس الحال نجده في معركة الخندق فقد قال الرسول (ص) لاصحابه (من رجل ينظر لنا مافعل القوم جعله الله رفيقي في الجنة)[٢٩] ويحمل هذا القول مغزيين ، الاول هو تكتيك الرسول (ص) في الاطلاع على جيوش العدو ، من خلال ارسال العيون ، والثاني هو التوجيه المعنوي موضع الشاهد في حديثنا هذا .

ومثل ذلك ايضا ما جرى يوم الحديبية فلما وصل المسلمون الى ثنية ذات الحنظل قال الرسول (ص) (ما مثل هذه الثنية الليلة الا مثل الباب الذي قال الله لبني اسرائيل ((وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة))[٣٠] وفي رواية انه (ص) قال (لايجوز هذه الثنية احد الا غفر له)[٣١] .

كما ان هناك توجيه فردي للرسول (ص) غير التوجيه العام الذي ذكرناه وهذا التوجيه الفردي هو اقوال الرسول (ص) في مقاتل واحد بهدف رفع معنوياته ، ونول مطالعة لذلك نجدها في معركة

احد اذ قال الرسول (ص) لسعد بن ابي وقاص الذي كان يرمي النبل ((ارم فداك ابي وامي)) [٣٢] ويندر ان نجد الرسول (ص) يجمع ابويه لاحد كما يقول الامام علي (ع) :- الا في هذا الموضع [٣٣] مما يعني بالتالي مدى الاهمية التي يناها (ص) على اقواله في هذا الاوقات .

وأيضا نجد الرسول (ص) في نفس المعركة يستنفر احد المقاتلين وهو وهب بن قابوس ليرمي العدو بالنبل ، ثم يدعوه لتكرارها مقابل الجنة [٣٤] ويصور لنا حذيفة بن اليمان مدى ما يكسبه المقاتل من معنويات جراء توجيه الرسول (ص) له حيث يقول عندما وجهه الرسول (ص) في مهمة عسكرية يوم الخندق ، وكان حذيفة مترددا بداية الامر ثم دعا الرسول (ص) فاقدم حذيفة على المهمة وقال حول اقدامه بعد التردد ((والله ما خلق الله فزعا ولاقرا في جوفي الاخرج من جوفي فما اجد فيه شيئا [٣٥] .

ويمكننا ان نسجل عدة ملاحظات عامة حول اقوال الرسول (ص) :-

(١) ان جميع اهداف الرسول (ص) من اقواله السابقة قد تحققت ، وهي رفع المعنويات والمتتبع لاحداث المعارك يلاحظ ذلك بصورة واضحة ، اذ نرى الاقدام بعد التردد.

(٢) ان الرسول (ص) يستخدم في اقواله نبرة خاصة قد لا نجدها في اقواله خارج ميدان المعارك مثل المكافأة المباشرة في الجنة ، وتخفيف الاوامر والضغوط على المسلمين

(٣) يتضح مما سبق ان اغلب الاقوال كانت اثناء المعارك على عكس الاساليب الاخرى مما يعني ان الرسول (ص) قد ادرك ان اسلوب الاقوال اكثر اساليب التوجيه المعنوي تاثيرا داخل المعركة ، وكأن الرسول (ص) قد قسم هذه الاساليب وفق مراحل المعركة .

المعـــــجزات :

ان عملية دراسة المعجزات كاسلوب من اساليب التوجيه المعنوي للرسول (ص) تقوم على عدة اعتبارات هي :

١- ان الرسول (ص) يرى بان المعجزات تثبت لاصحابه بشكل لا يقبل الشك بانهم على الحق وان الله معهم .

٢- ليحس المسلمون بان القادر على الاتيان بالمعجزات لقادر على النصر في المعارك .

٣- ان المعجزات بحد ذاتها قد سيلت بعض المصاعب التي ربما واجهت المسلمين في استعدادهم للحرب ، لاسيما اذا ما علمنا ان الرسول (ص) لاياتي بها الا في المواقف الحرجة .

وهذه الاعتبارات هي التي دفعت الرسول (ص) كان يظهر معجزاته في الاوقات التي يستعد بها المسلمون لمعاركهم .

و قد كان ليوم الخندق النصيب الاكبر في معجزات الرسول (ص) لاسيما عند حفره من قبل المسلمين ويؤكد ذلك قول ابن القيم الجوزي (كان في حفر الخندق ايات) [٣٦] .

ويمكننا ان نعزو اسباب ذلك الى عدة امور هي :

١- ان حفر الخندق يعد اسلوبا جديدا على المسلمين لذلك اراد الرسول (ص) طمأنتهم وابعاد أي شكوك في اذهانهم .

٢- ان عملية الحفر ليست بالعملية السهلة ، لاسيما وان الخندق يمتد على طول المدينة من جهة العدو .

٣- ضيق الوقت على المسلمين مما يحتاج الى جهد مضاف قد لايتحقق الا باسلوب الرسول (ص) هذا .

٤- بث الرعب في نفوس العدو من خلال وصول هذه المعجزات اليهم ، وجعالهم يحسبون للمسلمين حسابا كبيرا .

لقد بدأت ايات الرسول (ص) في الخندق منذ الايام الاولى لبدء العمل فيه ، اذ اشارت بعض المصادر الى انه قد اصاب الناس كدية فضربوا فيها بمعاولهم حتى انكسرت فدعو الرسول (ص) فدعا بماء فصبه عليها فعدت كثيبا[٣٧] . ونتيجة لشدة الجوع وشداة التعب ايام حفر الخندق فقد ظهرت معجزات الرسول (ص) في ذلك الامر حيث جاء جابر بن عبد الله بشاه وخبز شعير ، فقرا عليها الرسول (ص) فاكتفى منها جميع المسلمين الذين حضروا [٣٨] . ومن ذلك ايضا عن التمر الذي بعثته اخت عبد الله بن رواحه اليه في ايام الخندق ، اذ كان لا يتعدى مقدار الكف فوضعه الرسول (ص) في ثوب ودعا جميع اهل الخندق ، فاكلوا والتمر يفيض من اطراف الثوب [٣٩] .

ويبدو من خلال الروايات التي ذكرناها ان هناك ستراتيجية خاصة في طبيعة المعجزات التي اتى بها الرسول (ص) ايام الخندق ، وتقوم هذه الستراتيجية على عدة امور :

١. لو تتابع طبيعة هذه المعجزات واوقاتها نجد المرحلية التي حكمت اسلوب الرسول (ص) الاخرى قد حكمت هذا الاسلوب ايضا . فكانت معجزاته على مراحل وكما قلنا سابقا فان الهدف من ذلك هو تجديد المعنويات في كل مرحلة .

٢. ارتباط معجزات الرسول (ص) بالامر الذي كان يعاني منه انذاك ، فلانهم يعانوا من صعوبة الحفر حدثت معجزة الكدية . ولانهم عانوا من الجوع حدثت معجزات الطعام ويهدف الرسول (ص) من ذلك امرين اولهما حتى يتذكر المسلمون هذه المعجزة ليبقوا على اتصال بقائدهم ، وثانيا حتى يسهل الرسول (ص) الصعب امام المسلمين في كل الظروف . والهدف العام أي رفع المعنويات .

٣. ان هذه المعجزات اعدت ايضا لتعالج حالة قد تعتري نفوس بعض المسلمين الذين لم يطمانوا بعد ، وهي حالة التراجع او على الاقل التفكير بها ، لاسيما بعد معركة احد .

ومن المعجزات الاخرى التي اراد الرسول (ص) تسهيل مهام المسلمون منها معجزة الماء يوم الحديبية ، اذ احتاج المسلمون الى الماء هناك فاخذ الرسول (ص) سهما فامر به فغرز في القليب فجاش لهم بالماء [٤٠] ، وكان الرسول (ص) اكثر ما يحتاجه في هذا اليوم هو تجديد المعنويات لاصحابه لاسيما وانه سيقدم على امر ربما يعارضه الكثير منهم . وهذا ما حصل فعلا لذلك اراد بهذه المعجزة ان يمهد لهدفه يوم الحديبية .

واخيرا فقد استفاد المسلمون من معجزات الرسول (ص) الكثير من الدروس التي رسموها في اذناهم في مواجهة اعداء الدعوة الاسلامية والمتربصين لها في السر والعلانية .

المبحث الثاني

الحركات العسكرية والتقدم امام الجند

مما لاشك فيه ان الرسول (ص) كان يعي تماما تاثير شخصيته على المسلمين خلال معاركهم لهذا نجده يعمل على توظيف هذا التاثير في خدمة ستراتيجية في رفع المعنويات فقد كان الرسول (ص) يعاني معاناة المسلمين ويتحمل ما يتحملون ، فهو يوم بدر يمشي كما يمشي المسلمين اذا حان دوره في المشي ويرفض طلبهم بركوبه والمشي عنه [٤٠].

والرسول (ص) الى جانب مشاركته المسلمين في سرائهم وضرائهم ، كان يتقدمهم في المعارك لا لانه قائدهم فقط ، وانما لانه واحد منهم ، فضلا عن انه يريد ان يشيع جوا من الاطمئنان لديهم ، واصبح المسلمون ينتظرون طلعته بلباسه العسكري ليكون ذلك ايذانا لهم بالتهيؤ لخوض المعركة ، ويكفي في عصرنا هذا ان نتصور طلعة الرسول (ص) بهذا اللباس لنتهيج حماسا وفخرا ، فيا ترى كيف كانت معنويات جيش المسلمين وحماستهم انذاك .

ويمكن ان نقسم اجراءات الرسول (ص) في رفع المعنويات من خلال تقدمه امام المسلمين الى مرحلتين المرحلة الاولى هي مرحلة الاستعداد للمعركة وكما قلنا ان لباس الرسول (ص) العسكري يعني التهيؤ وقطع كل امر يعارض ذلك فعلى الرغم من ان المسلمين يوم احد كانوا يتناقشون حول الخروج والبقاء في المدينة نجدهم قد اتفقوا وخرجوا مع الرسول (ص) حينما رأوه قد لبس الدرع ، فظهيرها وحزم وسطها بمنطقة من حمائل سيف الله واعتقل السيف [٤٢] .

ويضاف ذلك في استعداده (ص) لقاء الاحزاب يوم الخندق حيث كان يحفر مع المسلمين ، وينقل التراب حتى يغمر بطنه ، وذلك ترغيبا للمسلمين [٤٣] .

المرحلة الثانية هي تقدمه اثناء المعارك اذ نجد (ص) يتقدم المسلمين بسلاحه كما حدث في يوم بني قريضة [٤٤] . كذلك تقدمه (ص) يوم حنين بحربته امام المسلمين بعد ان انهزم الناس ويقول انا رسول الله انا محمد بن عبد الله [٤٥] .

ويبدو ان تلك الاجراءات كانت تعني الكثير بالنسبة للمسلمين وقت ذاك فما هي تعني لنا عدة امور ابرزها :-

١- ان الرسول (ص) اراد جعل تقدمه نقطة الانطلاق للمسلمين وذلك لمجابهة أي تردد او خوف من قوة العدو .

٢- ان هناك هدفا مشتركا مع الاساليب الاخرى وهو تجديد المعنويات من خلال المرحلية في اساليب الرسول (ص) الخاصة بحركاته العسكرية وتقدمه امام الجند .

٣- ان الرسول (ص) اراد ان يعد قادة للمسلمين على اتخاذ نفس خطواته في المعارك فلم يكن اسلوبه هذا موجها لمن كان حاضرا فقط وانما درسا عسكريا عاما .

٤- ان الرسول (ص) اراد توجيه رسالة الى الجيش المقابل مضمونها انه لا يريد ملكا ولا سلطانا وانما هو يدافع عن مبدأ يستحق ان يسفك دمه عليه وعلى ما يظهر فان هذا الهدف قد فعل فعلته فيما بعد .

٥- يمكن ان نفهم شيئا مهما جدا من اسلوب الرسول (ص) والذي ربما يكون قد غاب عن الاذهان وهو قوة الرسول (ص) وشجاعته كمقاتل فحتى اذا قلنا انه اراد تطبيق هذا الاسلوب لرفع المعنويات فهو في الوقت نفسه بحاجة الى شجاعة كبيرة جدا وهذا ما تميزت به شخصية الرسول (ص) العسكرية وابرز دليل على ذلك هو يوم احد ويوم حنين حيث بقي مع قلة من اصحابه .

ولم يقتصر اجراء الرسول (ص) هذا في معاركه التي قادها بنفسه وانما ايضا في المهمات العسكرية التي ارسل بها عددا من المسلمين الاخرين اذ كان يودعهم ويدعوا لهم بالنصر ترغيبا لهم فلما بعث مجموعة من المسلمين لقتل كعب بن الاشرف [٤٩] مشى معهم الى بقيع الغرقد [٥٠] وقال انطلقوا على اسم الله اللهم اعنهم [٥١] كما شيع اصحاب مؤته عندما وجههم الى هناك [٥٢] وبلا شك ان تاثير ذلك كان عظيما على المسلمين وهذا ما اراده الرسول (ص) وربما نجد ان الرسول (ص) يقوم بحركة عامة وليست فردية في قواته لنفس الهدف السابق وخير ما يوضح هذه الحركة ما حدث بعد معركة احد اذ دعا الرسول (ص) اصحابه الى الخروج وطلب العدو على شرط الا يخرج معهم من لم يشهد القتال في احد وكان هذا بعد يوم احد من هذه المعركة[٥٣] .

وصحيح ان هناك اهدافا كثيرة لهذه الحركة التي قام بها الرسول (ص) من ارهاب العدو وتخويف اليهود في المدينة واشعار القبائل بقوة المسلمين الا انه يبدو لنا ان الهدف الاساس كان يخص المسلمون انفسهم وهو ان الرسول (ص) اراد بهذه الحركة ان يشعر المسلمين بان معركة احد ليس نهاية المطاف وانما هي درسا لهم ينبغي ان يتحملوا نتائجه وربما ان الرسول (ص) قد شعر فعلا بان يوم احد اضعف من معنويات المسلمين لذا تحرك لعلاج هذه الحالة والتي يعتبرها الرسول (ص) نقطة مهمة في تكتيكات الجيوش لاسيما وان إجراءاته العديدة في رفع المعنويات تدل على ذلك .

المبحث الثالث

التكريم :

التكريم هو مصطلح نطلقه على المكافآت التي يقدمها الرسول (ص) لاصحابه مقابل تاديتهم لواجبات العسكرية التي كلفوا بها وليس بالضرورة ان تكون المكافآت مادية وانما هي مكافآت معنوية ايضا وعلى هذا يمكن تقسيم التكريم على نوعين :

* التكريم المعنوي : ((الألقاب))

اول انواع التكريم المعنوي هو اضفاء الرسول (ص) للالقاب على بعض المسلمين بما في ذلك من معنى تشجيعي لكونه صادر من الرسول (ص) اولا ولانه يحمل في طياته معان تكريمية مختلفة تثيب مشاعر ونفوس المسلمين كافة ثانيا .

وتضافرت المصادر المتوفرة لبعض الروايات الخاصة بهذا الامر ففي غزوة ذات العشيرة لقب الرسول (ص) علي بن ابي طالب (ع) بابي تراب وذلك حينما وجده نائما في التراب مع عمار بن ياسر [٥١] وقد شاع هذا اللقب فيما بعد وعرف الامام علي (ع) به مما يعني مدى حرص المسلمين على حفظ هذا التكريم والحفاظ عليه .

وربما غير الرسول (ص) اسما لاحد المسلمين ليلائم الوضع الجديد كما حدث يوم الخندق حيث سمى الرسول (ص) رجلا اسمه جعيل (عمرا) [٥٢] لنفس الهدف الذي كان يتوخاه من اضفاء الالقاب .

وفي بعض الاحيان تكون الالقاب تكريما مباشرا للمقاتل عندما ينتهي من مهمته التي كلفه بها رسول الله (ص) فحالما انتهى عمير بن عدي من قتل حدى المحرضات على الاسلام وكان اعمى لقبه الرسول (ص) بالبصير[٥٣] ، ويبدو ان السبب واضح في ذلك فقد اراد الرسول (ص) ان يمحي من ذهن عمير بن عدي صفة النقص التي يشعر بها أي اعمى من جراء عاهته هذه لاسيما وان هذا اللقب سيعتمد من قبل جميع المسلمين لكونه صادر من الرسول (ص) وكذلك فقد قال الرسول (ص) في حق الزبير (لكل نبي حواري وحواري الزبير) وكان ذلك حينما ارسله ليعرف خصة بني قريضة[٥٤] وقد يدعو الرسول (ص) جيشا بكامله بلقب معين في حالات قد تكون شاذه كما حدث يوم حنين فلما انهزم المسلمون امر الرسول (ص) العباس ان يصيح بالانصار يامعشر اصحاب السمرة [٥٥] و اصحاب السمرة تعني الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان[٥٦] ويكفي ان ننقل ما رواه ابن الاثير عن جواب الانصار لنعرف مدى تاثير الرسول (ص) بهم بهذا اللقب اذ قال ابن الاثير ان الانصار رجعوا الى ساحة المعركة واجابوا قائلين (لبيك يارسول الله) [٥٧] ومن مطالعة الروايات السابقة يمكن ان نخرج بعدة ملاحظات هي :

١- ان حالات التكريم شملت الحالات الفردية والجماعية معا .

٢- يبدو ان هذا النوع من التكريم يحمل صفة متميزة عن الانواع الاخرى وهي صفة الديمومة لانه يبقى مرتبطا بالشخص الذي كرمه الرسول (ص) في كل زمان ومكان .

٣- ان الرسول (ص) يسير في اضفاء الالقاب وفق منهج حديثه الشريف ((اعطي الاجير اجره قبل ان يجف عرقه))[٢٠] أي تكريم المقاتلين فور انتهائهم من مهامهم العسكرية .

٤- ان الرسول (ص) يستغل لحظة التي يؤثر في نفوس المسلمين فيصيغ لقبه منها لكون ذلك يكون اكثر تاثيرا فيهم .

الاقوال والمواقف :

تعد الاقوال جزء مهما من اجزاء تكتيك التكريم التي رسمها الرسول (ص) لاصحابه والشيء الملفت للنظر فيه هو انه صريحة جدا في مبتغاها اذ نجد الرسول (ص) دقيق جدا في اقواله التكريمية وحريص على ان يجعل هذه الاقوال بمستوى العمل المنجز على اقل تقدير .

وقد تراوحت اقوال الرسول (ص) بحق بعض المسلمين بين رفع مكانتهم العسكرية تارة ووعدهم بالجنة والثواب الاجل تارة اخرى فضلا عن ان هذه الاقوال قد شرفت عددا من المسلمين بنسبتهم للرسول (ص) او نسبه لهم .

وكان عكاشة بن محصن اول من علا نجمه بين فرسان المسلمين لقول الرسول (ص) فيه يوم بدر (هذا خير فارس) فقاتل معه يارسول الله فقال عكاشة[٢١] اما في صلحة فقد سوء الرسول (ص) بجيش كامل بل قال هو افضل ، كان ذلك يوم حد اذ كان صدره يتوق في رجوعه لمعركة[٢٢] وقد ازدادت المكانة الحربية لهؤلاء جراء قول الرسول (ص) فيهم لبلائهم الحسن في معركتي بدر واحد .

اما ما يخص الوعد بالجنة والثواب الاجل فقد اقترنت قول الرسول (ص) بها في الظروف الصعبة على المسلمين و الاوقات الشديدة الحساسية كما حصل يوم حد من وصفه للاحياء بالشهداء[٢٣] ويشابه ذلك ما ورد عن تكريم عبد الله بن انيس عندما عاد من مهمة قتل خالد بن نبيح الهذلي[٢٤] حيث دفع اليه الرسول (ص) عصاة وقال (تخصر) أي اتكأ بها في الجنة فان المتخصرين بالجنة قليل[٢٥] وقيل انه قال له ان هذه العصا اية بيني وبينك يوم القيامة[٢٦] .

وايضا حدث ذلك مع عمير بن عدي عندما عاد من مهمة قتل عصماء بنت مروان[٢٧] اذ قال الرسول (ص) لمن حوله (الا احبكم ان تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا الى عمير بن عدي)[٢٨] .

وقد شرفت بعض قول الرسول (ص) التكريمية بعض المسلمين بنسبتهم اليه او تنسبه لهم ويبدو ان هذا هو غاية التكريم في اقواله (ص) فمحظوظ من نال هذا الشرف وعرف به وهذا ما

نطالعه في بعض الروايات الخاصة في هذا الموضوع حيث اشارت المصادر المتوفرة الى رواية من هذا النوع في معركة احد فلما قتل الامداد على (ع) اصحاب اللواء في هذه المعركة حمل على جماعة من المشركين وفرق جمعهم ثم ابصر الرسول (ص) جماعة اخرى فقال لعلي (ع) احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جمعهم فقال عنه الرسول (ص) ((علي مني وانا منه)) [٢٠] .

ونال هذا الشرف ايضا الصحابي الجليل سلمان الفارسي فقد قالت الانصار سلمان منا وقالت المهاجرين سلمان منا فقال الرسول (ص) سلمان منا اهل البيت[٢١] .

ويمكن ان نفهم من احدى الروايات بان المسلمين انذاك كانوا على يقين بان هذا التكريم هو ارقى انواع التكريم الاخرى وانهم يفضلونه حتى على التكريم المادي فحين وزع الرسول (ص) غنائم حنين على القبائل لم يعط حي من الانصار منها فبلغ الرسول (ص) وجد هذا الحي من الانصار فكرمهم على اثر ذلك تكريما معنويا تمنى المسلمون انذاك لو يحصلوا عليه مقابل تركهم الاموال والغنائم فقد قال لهم رسول الله (ص) (الا ترضون يا معشر الانصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله (ص) الى رحالكم [٢٢] .

وكما هو الحال في اساليب الرسول (ص) الاخرى فقد اتصف اسلوب التكريم بالاقوال بما يأتي : -

١ قد الرسول (ص) للمسلمين درسا في القناعة والرضا بما قسمه الله سبحانه وتعالى لهم وعدم الاكتراث بالمعدة لانها زائلة وهذا ما نفتقده في موقفه من الانصار يوم حنين .

٢- تكاد تكون معظم اقوال الرسول (ص) بهذا الجانب تكريما اخرويا الا ما يخص النوع الاول من هذه الاقوال الذي حاول فيه الرسول (ص) ان يرفع من مكانة المكرمين عسكريا فضلا عن ان ذلك لا يمنع من وعدهم بثواب الاخرة .

٣ ان غلب الاقوال التكريمية تخص افرادا وليس جماعات الا في الحالة الاخيرة مع الانصار اما ما يخص المواقف التكريمية التي وقفها الرسول (ص) من اصحابه فقد اشارت بعض المصادر الى رواية يمكن ان نستخلص منه طبيعة هذا التكريم فضلا عن استخلاصنا العبر والاقتداء بهذا القائد الفذ وتقول الرواية بان عمارة بن زياد بن السكن دافع عن الرسول (ص) في احد حتى اخذته الجراح فقال له رسول الله (ص) الى الى ابنه مني فدنوت منه فوسده قدمه وخده على قدم الرسول (ص)[٢٣] . ويتفرد ابن كثير بالقول ان عبيد بن الحارث هو الذي وسده الرسول (ص) على قدمه وذلك يوم بدر [٢٤] فيما لم نجد هذه الرواية في المصادر القديمة المتوفرة بين ايدينا الا انها اشارت الى ان الاختلاف هو بين عمارة بن السكن وزياد بن السكن[٢٥].

ب – التكريم المادي :

من المعروف ان المقاتلين يحتاجون في كل ادوار التاريخ الى ان يكونوا في وضع مادي يسمح لهم بان يؤدوا وظيفتهم على اتم وجه واكمله ولهذا كانت مسالة الغنائم وتكريم القادة المادي لجنودهم امرا بديهيا ومتعارف عليه الا اننا نجد الرسول (ص) يستغل هذه النقطة لرفع معنويات المسلمين خلال معاركهم فهو علاوة على واجبه كقائد ان يهيء لهم الجانب المادي فقد كان يحرص بين الحين والحين الاخر على تكريم شخص او جماعة تكريما خاصا بقصد رفع معنوياته ومكافأته عن خدمة اداها لجيش المسلمين .

وقد اختلفت طرق الرسول (ص) بهذا الجانب فمرة نجده يرغب المسلمين بالغنائم قبل المعركة ويخبرهم بانها جزاء لبلائهم في القتال ونجد مرة اخرى يباشر بعد المعركة بتوزيعها عليهم سواء بصورة جماعية او صورة فردية يحددها هو بنفسه ولنمس الجانب الاول في معركة بدر حيث قال الرسول (ص) للمسلمين لما تصافوا مع المشركين ((من قتل قتيلا فله كذا وكذا ، ومن اسر اسيرا فله كذا وكذا))[٣٣] .

وهذا ما نستطيع ان نسميه استقطاب الترغيب المادي وهو يعد مكملا لاساليب الرسول (ص) لرفع المعنويات وحدث هذا ايضا في معركة حنين اذ قال الرسول (ص) ((من قتل قتيلا فله سلبه))[٣٤] .

ويبدو ان الرسول (ص) كان يتاثر بظروف المعركة في طريقة تكريمه للمقاتلين ماديا فعرفنا انه في بدر امر بان كل من قتل قتيلا فله سلبه وهكذا في حنين ايضا اذ يظهر ان هناك عاملا مشتركا بين هاتين المعركتين وهو صعوبتهما الاولى من ناحية كونها المعركة الاولى لهم وهم لا يزالون قوة ناشئة اما الثانية فبسبب تقهقر المسلمين بادىء الامر والذي ربما اثر كثيرا على معنوياتهم لا سيما وان ابن كثير يقول بشان ما ذكرناه عن اخذ سلب المقتولين ان الرجل في حنين ليقتل ٢٠ في حنين فياخذ سلبهم [٣٥] بينما لم نجد اشارات في المعارك الاخرى الى ان الرسول (ص) قد كرر هذا الامر مع المسلمين وانما نجد في غير هاتين المعركتين ان الغنائم وزعت على السواء وفيما يخص التكريم المباشر للمسلمين فقد وردت بعض الروايات التي نفهم من خلالها ان هذا التكريم هو ذاته ما اشار اليه الرسول (ص) في بدر وحنين الا انه فرديا فهو يشمل ممتلكات المقتول التي سلبها المسلمين اذ وهب الرسول (ص) سيفه ذو الفقار بعد معركة بدر للامام علي (ع) [٣٦] ولم توضح المصادر المتوفرة هل ان الامام علي (ع) هو الذي قتل صاحب هذا السيف واعطاه للرسول (ص) ام ان الرسول (ص) كان يمتلكه قبل ذلك لكن الذي يهمنا انه جاء تكريما لجهد الامام علي (ع) .

وتظهر الصورة بشكل اوضح مع عبد الله بن مسعود الذي قتل ابو جهل يوم بدر فلما راه الرسول (ص) حمد الله ونفله سيفه [٣٧] وكذلك مع الزبير الذي نفله الرسول (ص) سلب الرجل اليهودي الذي قتله يوم بني قريضة [٣٨] واحيانا نجده (ص) يعطي اكثر من سيف

وحسب طبيعة المهمة التي نفذها المقاتل فقد اعطى لسلمة بن الاكوع سهمين في وقت توزيع الغنائم على المسلمين وكان بعد الحديبية وسبب ذلك ان سلمة استطاع بمفرده ان يعيد الابل التي ساقها قوم من رباح غلاة الرسول (ص) [١٠] .

وتبرز عدة امور عن طبيعة التكريم المادي التي يمكن ان نلخصها بما ياتي :

١- رغبة الرسول (ص) في الاثخان بقتل واسر المشركين وكسر شوكتهم .

٢- احساس الرسول (ص) بان الهدف المادي لايكاد يخلو من ذهن بعض المسلمين لذلك اراد استغلاله كسلاح في المعركة .

٣- تكيف الرسول (ص) مع ظروف المعارك وادخال الجانب المادي بحسب يسر وعسر المعركة التي يخوضها المسلمون .

٤- ان معظم تكريم الرسول (ص) المادي هو من جنس العمل الذي قام به الشخص الذي نال التكريم وهذه النقطة ترجمة لقوله (ص) ((من قتل قتيلا فله سلبه)) .

٥- ربما تكون طبيعة المهمة التي يكرم لاجلها الشخص اكبر من المهام الاخرى لهذا فقد تناسب تكريم الرسول (ص) مع كبر وصغر المهمة المنفذة .

الهوامش

(١) ينظر السيد فرج ، القيادة ، ط٤ ، مطبعة مخيمر (القاهرة ١٩٥٧) ص٦ .

(٢) اللواء عبدالحميد المصري ، معركة بدر ، سلسلة امجاد العرب ، (د.ت) ص٢

(٣) محمد في المدينة . تعريب شعبان بركات . (صيدا ، بيروت د.ت) ص٣٩ .

(٤) الواقدي ، المغازي ، مارسدن جونس ، دار المعارف (القاهرة ، ١٩٦٤)١ / ٤٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، ط٢ ، دار المعارف ، (القاهرة ١٩٦٨) ٤٣/٢ ، ابن القيم الجوزية ، زاد المعاد ، تقديم طه عبدالرؤوف (القاهرة ، ١٩٩٧) ٩٦/٢ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، دار صادر (بيروت ١٩٦٥) ١٢٠/٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ط١ ، مكتبة المعارف (بيروت ، ١٩٦٦) ٢٦٢/٣ ، الديار بكري ، تاريخ الخميس (مصر ، د ، ت) ٣٧٣/١٢ .

(٥) الموسوعة ، ط٧ ، (القاهرة ١٩٧٧) ٣٠٠/١ .

(٦) الطبري ، التاريخ ٥٩٣/٢ .

(٧) المصدر نفسه ٥٩٣/٢ .

(٨) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٥٥) ٢١٩/٣ الطبري ، التاريخ ٥٦٩/٢ ، ابن الوردي ، التاريخ ، ط٢ ، المطبعة الحيدرية (النجف ، ١٩٦٩) ١٦١/١ .

(٩) الواقدي ، المغازي ، ٦٥٣/٢ ، ابن هشام ، السيرة (٣٣٠/٢) .

(١٠) الواقدي ، المغازي ، ٨٩٨/٣ .

(١١) الواقدي ، المغازي ٤٩/١ ، الطبري ، التاريخ ٤٢٢/٢ ، ابن القيم الجوزي ، زاد المعاد ٩٦/٢ .

(١٢) الواقدي ، المغازي ٦٥٣/٢ ، ابن الاثير ، الكامل ٢١٩/٢ ، ابن الفداء ، المختصر في خبار البشر ، ط١ (المطبعة الحسينية المصرية) (القاهرة ، د.ت) ١٤/١

(١٣) ابن هشام ، السيرة ، ٦٢/٣ ، الطبري ، التاريخ ٥٠٢/٢ ، ابن الاثير الكامل ١٥٠/٢ .

(١٤) الواقدي ، المغازي ٥٧٢/٢ .

(١٥) الطبري ، التاريخ ٦٣٥/٢ ، ابي الفداء ، المختصر ١٣٩/١ .

(١٦) ابن القيم الجوزية ، زاد المعاد ٩٨/٢ .

(١٧) ينظر الواقدي ، المغازي ٥٨/١ ، ٥٩ .

(١٨) المصدر نفسه ٢٢١/١ .

(١٩) المصدر نفسه ٢٢٢/١.

(٢٠) ابن الاثير ، البداية والنهاية ، ٩٦/٤ ، ٩٧ .

(٢١) الواقدي ، المغازي ٤٥٣/٢ ابن كثير ، البداية والنهاية ٩٥/٤ وقد رواها (اللهم لا عيش الا عيش الاخرة) .

(٢٢) الواقدي ، المغازي ٤٤٦/٢ .

(٢٣) ابن الاثير ، الكامل ٢١٦/٢ .

(٢٤) الديار بكري ، تاريخ الخميس ٤٨٢/١ .

(٢٥) الطبري ، التاريخ ٤٤٨/٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ١٢٦/٢ .

(٢٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٧٧/٣ .

(٢٧) الديار بكري ، تاريخ الخميس ٣٨٢/١ .

(٢٨) الواقدي ، المغازي ٢٤١/١ ، ابن هشام ، السيرة ٨٠/٣ ، الطبري ، التاريخ ٥١٥/٢ .

(٢٩) الواقدي ، المغازي ٤٨٨/٢ ، الطبري ، التاريخ ٥٨٠/٢ .

(*) البقرة /٥٨ .

(٣٠) الواقدي ، المغازي ٥٨٤/٢ .

(٣١) المصدر نفسه ٥٨٥/٢ .

(٣٢) المصدر نفسه ٤٣٣/١ .

(٣٣) المصدر نفسه ٢٧٥/١ .

(٣٤) المصدر نفسه والصفحة .

(٣٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٣١/٤ .

(٣٦) زاد المعاد ١٣١/٢ .

(٣٧) الواقدي ، المغازي ٤٥٢/٢ ، ابن هشام السيرة ٢١٨/٣ ، ابن الفداء ، المختصر ١٣٤/١ .

(٣٨) المصدر نفسه والصفحات ، وينظر ابن كثير ، البداية والنهاية ٩٧/٤ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ .

(٣٩) الواقدي ، المغازي ٤٧٦/٢ ، ابن هشام ، السيرة ٢١٨/٣ .

(٤٠) الواقدي ، المغازي ٥٨٧/٢ ، الطبري ، التاريخ ٦٢٤/٢ .

(٤١) الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ٣٧٢/١ .

(٤٢) الواقدي ، المغازي ٢١٤/١ .

(٤٣) الواقدي ، المغازي ٤٤٩/٢ ، ابن هشام ، السيرة ٢١٦/٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ٩٦/٤ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، اعادت طبعة مكتبة المثنى (بغداد د.ت) ٢١٧/٤ .

(٤٤) الواقدي ، المغازي ٤٩٧/٢ .

(٤٥) الواقدي ، المغازي ٨٩٨/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ٢٦٣/٢ .

(٤٦) كعب بن الاشرف كان احد المحرضين ضد النبي (ص) ينظر ابن هشام ، السيرة ٥٦/٣ ، الطبري ، التاريخ ٤٩/٢ .

(٤٧) بقيع الغرقد ، داخل مدينة الرسول (ص) وهي مقبرة اهل المدينة ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان (طهران ، ١٩٦٥) ٧٠٣/١ .

(٤٨) ابن هشام ، السيرة ٥٦/٣ ، الطبري ، تاريخ ٥٩٠/٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ٧/٤ .

(٤٩) ابن الاثير ، الكامل ٢٣٥/٢ .

(٥٠) الواقدي ، المغازي ٣٣٤/١ ، ابن هشام ، السيرة ١٠١/٣ ، الطبري ، التاريخ ٥٣٤/٢ .

(٥١) الطبري ، التاريخ ٤٥٨/٢ ، ابن القيم الجوزي ، زاد المعاد ٩٣/٢ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ١٨٢/٤ .

(٥٢) ابن هشام ، السيرة ٢١٧/٣ ، الطبري ، التاريخ هـ /٥٦٧ .

(٥٣) الديار بكري ، تاريخ الخميس ٤٠٧/١ .

(٥٤) الواقدي ، المغازي ٤٥٧/٢ .

(٥٥) الواقدي ، المغازي ٨٩٨/٣ ، ابن الاثير ، الكامل ٢٦٤/٢ ، ابن القيم الجوزي ، زاد المعاد ٢٠٩/٢ .

(٥٦) الديار بكري ، تاريخ الخميس ١٠٣/٢ .

(٥٧) الكامل ٢٦٤/٢ .

(٥٨) اخرجه ابن ماجه ، الصحيح ، تقديم محمد الغيداني ، الرياض ، ١٩٨٢ ، ٥٩/٢ ، الزهري .

(٥٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٩٠/٣ .

(٦٠) الديار بكري ، تاريخ الخميس ٤٣٣/١ .

(٦١) ابن هشام ، السيرة ٨٠/٣ .

(٦٢) خالد بن نبيح الهزلي ، كان يكتب الناس على رسول الله (ص) والائمة عليهم السلام ، ينظر ابن كثير ، البداية والنهاية ١٤٠/٤ .

(٦٣) الواقدي ، المغازي ، ٥٣٣/٢ ، ابن القيم الجوزية ، زاد المعاد ١٢١/٢ .

(٦٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٤٠/٤ .

(٦٥) علماء بيت مروان كانوا تحرض الناس ضد الاسلام والرسول (ص) ينظر ، الواقدي ، المغازي ١٧٢/١ .

(٦٦) الواقدي ، المغازي ١٧٣/١ .

(٦٧) الطبري ، التاريخ ٥١٤/٢ .

(٦٨) الواقدي ، المغازي ، ٤٤٦/٢ .

(٦٩) الواقدي ، المغازي ٥٩/٣ . ابن الاثير . الكامل ٢٧١/٢. ابي الفداء المختصر ١٤٧/١ .
(٧٠) الواقدي ، المغازي ٢٤١/١ .
(٧١) البداية والنهاية ٣٠٤ .
(٧٢) ينظر ، الواقدي ، المغازي ٢٤١/١ . ابن هشام . السيرة ٨٢٠٣ .
(٧٣) الواقدي ، المغازي ٩٨/١ .
(٧٤) ابن الاثير ، الكامل ٢٦٥/٢ .
(٧٥) البداية والنهاية ، ابن كثير ، ٣٢٧/٤ .
(٧٦) ابن الاثير ، الكامل ، ٢٣٧/٢ .
(٧٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ٣٨٩/٣ .
(٧٨) الواقدي ، المغازي ٥٠٤/٢ .
(٧٩) الطبري ، التاريخ ٦٠٠/٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ٤ ١٥٣ .

المصادر والمراجع

- ابن الاثير ، عز الدين بن ابي الكرم ، ت ٦٣٠ هـ - ١٢٣٢م .
- الكامل في التاريخ ، دار صادر ، (بيروت ١٩٦٥) .
- الديار بكري ، الشيخ حسن بن محمد بن الحسن ، ت ٩٨٢هـ - ١٥٧٤م .
- تاريخ الخميس في احوال انفس وانفيس (مصر ، د. ت) .
- شبلي ، احمد
- موسوعة التاريخ الاسلامي ، ط٢ (القاهرة ، ١٩٧٧) .
الطبري ، محمد بن جرير ، ت ٣١٠ هـ - ٩٢٢م .
- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط٢ دار المعارف (القاهرة ، ١٩٦٨) .
بن الفداء ، عماد الدين اسماعيل ، ت ٧٣٢ هـ -١٣٣١م .
- المختصر اخبار البشر ، ط ، المطبعة الحسينية (القاهرة ، د.ت) .
فرج ، السيد
- القيادة ، ط٤ ، مطبعة مخيمر (القاهرة ، ١٩٥٧)
بن القيم الجوزية ، شمس الدين الزرعي ، ت ٧٥١ هـ - ١٣٥٠ م .
ر ، سعد ، عبد صاحب عبد الرزاق ، مطبعة ليماني الحلبي (القاهرة ، ١٩٧٠)
ابن كثير ، الحافظ ابي الفداء الدمشقي ت ٧٧٤ هـ - ١٣٧٢ م .
- البداية ، النهاية ، ط١ ، مكتبة المعارف (بيروت ، ١٩٦٦) .
ابن ماجة ٢٧٣هـ - ٧٧٢ م .
تصحيح ، محمد محمد الجليس ، ط (القاهرة ، ١٩٥٠)
المصري ، اللواء عبد الحميد .
- معركة بدر ، سلسلة امجاد العرب (د.ت)
المقدسي ، المطهر بن طاهر .
- البدء والتاريخ ، اعادة طبعه بالاوفسيت مكتبة المثنى (بغداد ، د.ت) .
ابن هشام ، عبد الملك ، ت ٢١٨ هـ - ٨٣٣م .
- السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا ، طبعة ٢ (القاهرة ، ١٩٥٥) .
وات ، مونتجمري .
- محمد في المدينة ، تعريب شعبان بركات ، صيدا (بيروت ، د.ت)
الواقدي ، عمر بن واقد ، ت ٢٠٧ هـ - ٨٢٢ م .
- مغازي الرسول (ص) ، تحقيق مارسدن جونس دار المعارف (القاهرة ، ١٩٦٤) .
ابن الوردي ، زين الدين عمر بن المظفر ، ٧٤٩هـ - ١٣٤٨م .
- التاريخ ، طبعة ٢ ، المطبعة الحيدرية ، (النجف ١٩٦٩).

ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ، ت ٦٢٦ هـ ، ١٢٢٨ م .
- معجم البلدان . (طهران ، ١٩٦٥) .

Abstract

This paper deals with an important side of the prophet's (peace be upon him) military thinking, which is the side of rising the morale of fighters during battles. The prophet (peace be upon him) paved a clear-cut path in that domain, and he was distinguished from previous leaders in what he brought into this military principle, which could hardly be perceived by his age where Bidwin life is the most dominant.

The researcher also tries to unfold some of the mystery overlapping that important side of the life of the prophet (peace be upon him), since that matter has a great impact on the military leaders especially, and on the military strategies in general. It is an attempt to respond to the Western military strategies which with utmost injustice related the principle of morale the British General Tweenby, who was preceded by the prophet (peace be upon him) by fourteen centuries in that domain.